obeikandl.com

obeikandl.com

القرآن وعلومه

تمهيد :

عرف ابن عباس { بالحرص على حفظ القرآن الكريم ، وتعلم أحكامه ، والاهتداء بهديه ، منذ أن صحب النبي ﷺ ، حيث جمع في عهده المفصل [١] .

ثم طفق يسأل الصحابة العالمين بالقرآن بعد وفاته ﷺ . ومما ذكر أنه كان يسألهم عنه : ما نزل من القرآن المتعلق بمغازي رسول الله ﷺ . وسأل أبي بن كعب عن آي القرآن المدني [٢] .

وقال الذهبي : «وقرأ كثيرا على أبي وزيد» [٣] .

وأخرج ابن سعد بسنده عن عامر الشعبي أنه قال : «أخذ ابن عباس لزيد بن ثابت بالركاب ، وقال : هكذا يفعل بالعلماء والكبراء» [٤] .

وبهذا يكون عبد الله بن عباس من الأوائل الذين اهتموا في مرحلة الطلب بالتفسير الموضوعي ـ لأنه كان يسأل عن القرآن المتعلق بمغازي رسول الله ﷺ ـ وبمعرفة القرآن المكي والمدني ـ إذ سأل عنه أبي بن كعب ـ ومن الأوائل

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ٨/ ٣٠٥ (أحداث سنة ٦٨هـ) .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢/ ٣٠ (ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدى به) .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٤/ ٤٣٩ ، رقم ٢٧٣ (ترجمة ابن عباس) . والمعلوم أن أبي بن كعب وزيد بن ثابت كانا من قراء الصحابة ، وممن جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ . طبقات ابن سعد : ٢/ ١٧ (ذكر من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ) .

(٤) طبقات ابن سعد : ٢/ ٣١ (ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدى به) في ترجمة زيد .

obeikandl.com

الذين حرصوا على تجويد القراءة ، وملازمة الشيوخ ، وتعظيمهم وإظهار فضلهم .

ولم تمر أعوام قلائل حتى بزغ نجم ابن عباس في القرآن ، وأصبح يشار إليه بالبنان ، وتحقق فيه قول النبي ﷺ : «**اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل**» [١] . واستحق من عبد الله بن مسعود ـ وهو من هو ـ أن ينعته بـ«ترجمان القرآن» [٢] . وقربه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ، وجعله من مستشاريه مع حداثة سنه [٣] .

ثم لما استقر به المقام بمكة اجتمع عليه نخبة من شبابها والوافدين عليها ، وشرع يدرسهم مجموعة من العلوم ، في مقدمتها القرآن : حفظا ، وأداء ، وتأويلا [٤] . وقبل ذلك كان لطلاب القرآن وعلومه بمكة لقاءات مع ابن عباس . وذلك عندما كان يأتي إليها أميرا على موسم الحج [٥] .

(١) رواه الحاكم في معرفة الصحابة : ٣/ ٥٣٤ . وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح . وأخرجه ابن سعد في طبقاته ٢/ ٢٥ في ترجمة ابن عباس (ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدى به) .

(٢) طبقات ابن سعد : ٢/ ٢٦ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٤/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨ ، رقم ٢٧٣ .

(٤) مصطلح «التأويل» في هذه المرحلة كان يطلق على التفسير .

(٥) ينظر : ـ مثلا ـ سير أعلام النبلاء : ٤/ ٤٥١ رقم ٢٧٣ .

openkamal.com

المطلب الأول

منهج ابن عباس في تلقين القرآن وعلومه

بين أيدينا اليوم نصوص تفيد أن ابن عباس كان يخصص حصة للأداء والحفظ ، وحصة للأداء مع التفسير ... وكان يحرص على ذلك أشد الحرص :

من هذه النصوص قول مجاهد : «عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة» [(١)] .

فهذا العدد الكبير من المرات ، الظاهر فيه أنه كان لأجل الحفظ والضبط ، وإتقان الأداء .

أما العرض لأجل الفهم والفقه ، ومعرفة أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، فيقول فيه مجاهد أيضا : «عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس ، أقفه عند كل آية ، أسأله فيم نزلت؟ وكيف كانت؟» [(٢)] .

أما عكرمة مولى ابن عباس فيترجم حرص ابن عباس الشديد على أن يحصل طلبته القرآن حفظا وأداء وتأويلا بقوله : «كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل (القيد) على تعليم القرآن والسنن» [(٣)] .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٤/ ٢٣٢ ، رقم ١٥٣٥ (ترجمة مجاهد) .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٧٧ و٣٨٢ ، رقم ٥٤٢ (ترجمة مجاهد) .

(٣) السابق : ٥/ ٥٠٥ رقم ٦٢٣ (ترجمة عكرمة) . وفي ميزان الاعتدال للذهبي أيضا : (٣/ ٩٥) : «الفقه» عوض «السنن» .

ومن خلال هذه النصوص نستفيد أمورا في منهج ابن عباس في غاية الأهمية :

الأمر الأول : أن ابن عباس كان يعتمد في تدريس القرآن على ما يسمى عند المحدثين بـ«القراءة على الشيخ» . ويرجح بعض العلماء هذه الطريقة في التحمل على السماع [١] .

ولا يستحسن أن يختلف في أنها أفضل من السماع إذا تعلق الأمر بالقرآن؛ لأنها تقف الشيخ بسهولة على الأخطاء التي يمكن أن تصدر عن المتلقي .

الأمر الثاني : أن ابن عباس كان يحض طلبته على الاعتماد على الذاكرة إلى جانب الكتابة . وهكذا كان صنيع رسول الله ﷺ مع أصحابه .

الأمر الثالث : أن ابن عباس كان يعتني بالحفظ مع دقة التجويد . وهذا هو السر في العرضات الكثيرة في نص مجاهد الأول .

الأمر الرابع : أن ابن عباس كان يفسر القرآن كله ، سوى بعض الألفاظ الغريبة التي صرح ابن عباس بأنه لا يعرف معناها [٢] .

وهذا أمر تواترت النصوص على معناه ، وعادة دأب عليها ابن عباس حتى قبل أن يستقر بمكة : فقد ذكر الحسن البصري أن ابن عباس قرأ بالبصرة

---

(١) ينظر : معرفة علوم الحديث لابن الصلاح ، ص : ١٢٢ .

(٢) روي عنه أنه لا يعرف معاني (الرقيم) و(غسلين) و(وحنانا) . ينظر سير أعلام النبلاء : ٤/ ٤٤٧ رقم ٢٧٣ .

سورة البقرة ، ففسرها آية آية [١] .

الأمر الخامس : أن رغبة ابن عباس في أن يعرف أصحابه أسباب نزول بعض آي القرآن كانت تنال من اهتمامه حظا وافرا . ذلك أن كثيرا من الآيات لا تفهم على حقيقتها إلا إذا عرفت الظروف التي نزلت فيها . ولذلك فإن ابن عباس نفسه كان أيام الطلب يسأل الصحابة عن ذلك .

(١) وهذا لا يتنافى مع ما ذهب إليه الدكتور محمد حسين الذهبي من أن من مميزات التفسير في عهد الصحابة أن القرآن لم يفسر جميعه ، «وإنما فسر بعض منه ، وهو ما غمض فهمه»؛ لأن طبيعة التفسير كذلك : فالواضح لا يفسر . ينظر : التفسير والمفسرون : ١/ ٩٧ . ومع ذلك يمكن أن أقول : إن ما ذهب إليه الدكتور الذهبي بخصوص مميزات هذه المرحلة ليس دقيقا . والبحث لا يتسع لتوضيح ذلك .

openkandl.com

obeikandl.com

المطلب الثاني

قيمة الشعر في تفسير ابن عباس

من منهج ابن عباس أنه كان يستعين في تفسير بعض الألفاظ الغريبة بالشعر العربي ، وكان يعتبره «ديوان العرب» .

ولقد أخرج ابن سعد بسنده «أن ابن عباس كان يسأل عن القرآن كثيرا ، فيقول : هو كذا ، وكذا ، أما سمعتم الشاعر يقول كذا ، وكذا» [١] .

ولقد أورد السيوطي في «إتقانه» طائفة من المسائل التي سئل عنها ابن عباس تتعلق بتفسير بعض الآيات ، وأجاب عنها ، وعزز أجوبته بإنشاد أبيات من الشعر الجاهلي [٢] .

وهذه المسائل تعرف بمسائل نافع بن الأزرق «الذي صار بعد ذلك رأس الأزارقة من الخوارج . وكان يجالس ابن عباس بمكة ، ويسأله ويعارضه» [٣] .

وجاء اسمه مبهما عند البخاري في صحيحه [٤]: أبهمه سعيد بن جبير عند حكاية قصته مع ابن عباس ، قال سعيد : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ، قال : ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾

---

(١) طبقات ابن سعد : ٢/ ٢٧ .

(٢) ينظر : الإتقان في علوم القرآن : ١/ ١٢٠ ، والتفسير والمفسرون : ١/ ٧٤ ـ ٧٥ .

(٣) ينظر : فتح الباري : ٩/ ٥٢٣ (كتاب التفسير من صحيح البخاري ، سورة حم السجدة) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة حم السجدة .

[المؤمنون:١٠١] ، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧] ، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٤٢] ، ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٢٣] ، فقد كتموا في هذه الآية .

وقال : ﴿أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا﴾ ، إلى قوله : ﴿دَحَاهَا﴾ [النازعات:٢٧ـ٣٠] ، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض [١] .

قال ابن حجر عند شرحه لهذا النص : «وروى الطبراني ؛ من حديث الضحاك بن مزاحم ، قال : قدم نافع بن الأزرق ، ونجدة بن عويمر في نفر من رؤساء الخوارج مكة ، فإذا هم بابن عباس قاعدا قريبا من زمزم ، والناس قياما يسألونه ، فقال له نافع بن الأزرق : أتيتك لأسألك ـ فسأله عن أشياء كثيرة من التفسير ، ساقها في ورقتين ؛ وأخرج الطبري من هذا الوجه بعض القصة . ولفظه : إن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال : قول الله تعالى : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ ، وقوله : ﴿رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ، فقال ـ أي ابن عباس : إني أحسبك قمت من عند أصحابك ، فقلت لهم : أين ابن عباس فألقي عليه متشابه القرآن ...» [٢] .

(١) ينظر النص بطوله في صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة حم السجدة .

(٢) فتح الباري : ٩/ ٥٢٣ (سورة حم السجدة) .

obeikandl.com

المطلب الثالث

الإسرائيليات في تفسير ابن عباس

الإسرائيليات جمع إسرائيلية ، نسبة إلى بني إسرائيل ، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام ، وبنو إسرائيل هم سلالته وأبناؤه ، ويسمون أيضا باليهود [١] .

ولقد كان ابن عباس يستعين في بعض ما يتعلق بالقصص وأخبار الأقوام الغابرة بعلماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام كالصحابي الجليل عبد الله بن سلام [٢] ، وكعب الأحبار [٣] .

ويستفاد مما كتبه ابن كثير في مقدمة تفسيره أن ذلك اشتهر عن ابن عباس ، وعن عبد الله بن مسعود ، وأن ذلك مباح شرعا ... ثم استدرك ابن كثير قائلا : «ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد ...» [٤] .

(١) ينظر : مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، (مقدمة المحقق محمود محمد نصار ، ص : ٤١) .

(٢) توفي سنة ٤٣هـ . ينظر تاريخ خليفة ص : ١٢٦ ، وسير أعلام النبلاء : ٤/ ٦٥ رقم ١٨٠ .

(٣) توفي سنة ٣٢هـ . ينظر تهذيب التهذيب : ٣/ ٤٧١ .

(٤) ينظر بقية كلامه في هذا الموضوع في مقدمة تفسير القرآن العظيم : ١/ ٨ .

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الرابع

أمور منهجية أخرى في تفسير ابن عباس

الظاهر أن ابن عباس كان لا يخلط حفظ القرآن بما يضاف إليه من تفسير ... يدل على ذلك قول مجاهد : «لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود ، لم أحتج أن أسأل ابن

عباس عن كثير من القرآن مما سألت» (١) .

والظاهر كذلك أن من منهجه فتح باب الحوار والمناقشة مع طلابه أثناء الدرس ، وكان ينزل عن رأي بعضهم إذا رأى الصواب معه ، يقول عكرمة مولاه : «قرأ ابن عباس هذه الآية : ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ [الأعراف:١٦٤] ، قال ابن عباس : لم أدر أنجا القوم أم هلكوا . قال : فما زلت أبين ، أبصره ، حتى عرف أنهم قد نجوا . فكساني حلة» (٢) .

وكان يسمح لهم أن يتقدموا بين يديه ، دون استشارته ، فيجيبوا عن بعض

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٨٠ رقم ٥٤٢ . قلت : ابن عباس ومجاهد كانا يريان وجوب التتابع في صوم كفارة الأيمان ، وفاقا لابن مسعود ، وللقراءة المروية عنه في ذلك ، إذ يضيف قيد «متتابعات» إلى قوله تعالى : ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [المائدة:٨٩] ، ينظر : أحكام القرآن للجصاص : ٢/ ٤٦١ ، باب الأيمان . وعندي أن هذا القيد تفسير من ابن مسعود ، وليس قرآنا ، لأنه لم يثبت بالتواتر . والله أعلم .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٥٠٧ في ترجمة عكرمة . وينظر : التفصيل حول قصة عكرمة مع ابن عباس في تفسير ابن كثير ، عند تفسير هذه الآية : ٣/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ .

obeikandi.com

الأسئلة التي تلقى على ابن عباس؛ ويصوبهم إن أخطأوا . وهذا واضح مما أخرجه البخاري عن طاووس (ابن كيسان) «عن ابن عباس { أنه سئل عن قوله : ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣] ، فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد ﷺ ، فقال ابن عباس : عجلت [(١)] ؛ إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيه قرابة . فقال : «**إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**» [(٢)] .

(١) أي أسرعت في التفسير.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله (إلا المودة في القربى) ح٤٨١٨ .

obeikandl.com

المطلب الخامس

نماذج من تفسير ابن عباس

أختار لك في نهاية الحديث عن ابن عباس ومنهجه في تدريس القرآن وعلومه نماذج من تفسيره مسندة صحيحة النسبة إليه ، من كتاب التفسير من صحيح البخاري .

المثال الأول : قال البخاري : «حدثنا الحميدي [١] ، حدثنا سفيان [٢] ، حدثنا عمرو [٣] ، قال : سمعت مجاهدا ، قال : سمعت ابن عباس { يقول : كان في بني إسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدية ، فقال الله تعالى لهذه الأمة : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ ﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد ؛ ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ﴾ يتبع بالمعروف ، ويؤدي بإحسان؛ ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ ﴾ : مما كتب على من كان قبلكم ؛ ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة:١٧٨] : قتل بعد قبول الدية» [٤] .

---

(١) هو عبد الله بن الزبير الحميدي المكي ، من رواة فقه الشافعي (ت٢١٩هـ) .

(٢) هو ابن عيينة ، شيخ الحميدي .

(٣) هو ابن دينار . ورجال السند مكيون .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص» ح٤٤٩٨ .

obeikandl.com

المثال الثاني : قال البخاري : «حدثني إسحاق [١] ، أخبرنا روح [٢] ، حدثنا زكريا بن إسحاق [٣] ، حدثنا عمرو بن دينار ، عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ : «وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مساكين» ، قال ابن عباس : ليست بمنسوخة ، هو الشيخ الكبير ، والمرأة الكبيرة ، لا يستطيعان أن يصوما ، فيطعمان مكان كل يوم مسكينا : ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥] » [٤] .

المثال الثالث : قال البخاري : «حدثنا محمد بن يوسف [٥] عن ورقاء [٦] ، عن ابن أبي نجيح [٧] ، عن عطاء ، عن ابن عباس { قال : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين ، فنسخ الله من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث ، وجعل للمرأة الثمن والربع ، وللزوج الشطر والربع» [٨] .

المثال الرابع : قال البخاري : «حدثنا محمد بن مقاتل [٩] ، حدثنا أسباط بن

---

(١) هو ابن راهويه .

(٢) هو روح بن عبادة بن العلاء البصري . تنظر ترجمته في تهذيب التهذيب : ١/ ٦١٤ .

(٣) وهذا مكي (ينظر طبقات ابن سعد : ٤/ ٢٤٨ رقم ١٦١٨) ، وكذلك الشأن في عمرو بن دينار وعطاء بن أبي رباح .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، الباب ٢٥ من سورة البقرة (ح٤٥٠٥) .

(٥) هو محمد بن يوسف بن واقد ... ينظر : تهذيب التهذيب : ٣/ ٧٣٩ .

(٦) هو ورقاء بن عمر بن كليب ، نزيل المدائن . التهذيب : ٤/ ٣٠٦ .

(٧) عبد الله بن أبي نجيح ، مكي ، سيأتي الحديث عنه .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب (ولكم نصف ما ترك أزواجكم) (ح٤٥٧٨) .

(٩) هو المروزي «سكن بغداد ، ثم جاور بمكة ، ومات بها» . التهذيب : ٣/ ٧٠٧ .

محمد [١] حدثنا الشيباني [٢]، عن عكرمة، عن ابن عباس – قال الشيباني: وذكره أبو الحسن السوائي، ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس [٣]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ [النساء:١٩]، قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها. فهم أحق بها من أهلها. فنزلت هذه الآية في ذلك» [٤].

من خلال هذه الأمثلة الأربعة نلاحظ أن ابن عباس لم يكن اهتمامه منصبا على بيان معاني بعض الألفاظ والتراكيب القرآنية فحسب، وإنما كان يصرف عنايته كذلك إلى أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، بل نجده يتعرض لبعض الآيات التي ادعي فيها النسخ، فيبين أنها آيات محكمات، لا نسخ فيها.

(١) ابن خالد بن ميسرة، القرشي مولاهم ... ينظر التهذيب: ١/ ١٠٩.

(٢) قال ابن حجر عند شرحه هذا الحديث: «سماه (أي البخاري) في كتاب الإكراه: سليمان بن فيروز». ينظر: فتح الباري: ٩/ ١١٩.

(٣) ينظر: التعليق في فتح الباري.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (لا يحل لكم أن ترثوا النساء ...) ح٤٥٧٩.

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب السادس

طبقة كبار أصحاب ابن عباس الذين أخذوا عنه علوم القرآن بمكة

تلقى القرآن وعلومه بمكة عن ابن عباس طائفة من التابعين ، من أهمهم مجاهد بن جبر (ت١٠٣هـ) ، وصفه الذهبي في صدر ترجمته بـ« الإمام ، شيخ القراء والمفسرين» [(١)] .

وسبق التنصيص على أنه قرأ على ابن عباس القرآن كاملا ، يسأله عن كل آية لا يعرف معناها ، أو لا يدري «فيم نزلت؟ وكيف كانت؟» ، مع كمال الحفظ ودقة التجويد .

ومنهم أبو عبد الله عكرمة البربري ، مولى ابن عباس [(٢)] ؛ كان أعلم تلاميذ ابن عباس بالتفسير [(٣)] . وصفه الذهبي في أول الترجمة بـ« العلامة ، الحافظ ، المفسر» .

ومنهم عطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ) ، مفتي أهل مكة المفضل ، ومحدثها المبرز بعد ابن عباس ، إلا أن رتبته في علوم القرآن دون رتبة مجاهد وعكرمة .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٧٧ ، رقم الترجمة ٥٤٢ .

(٢) أرخه ابن كثير سنة ١٠٧هـ . ينظر : البداية والنهاية : ٩/ ٢٤٥ . وينظر : الخلاف في وفاته في سير أعلام النبلاء : ٥/ ٥٢٠ رقم ٦٢٣ ، وتهذيب التهذيب : ٣/ ١٣٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٥٠٦ رقم ٦٢٣ .

ومنهم عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة (ت١١٧هـ) ، قاضي ابن الزبير على الطائف [١] .

ومنهم مقسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب (ت١٠١هـ) يقال له : مولى ابن عباس للزومه له . وهو في المرتبة دون أصحاب ابن عباس الأربعة المذكورين .

وأود هنا أن أنبه على أن الدكتور محمد حسين الذهبي قد أورد في بحثه «التفسير والمفسرون» سعيد بن جبير (ت١٩٥هـ) وطاووس بن كيسان اليماني [٢] ضمن مدرسة التفسير بمكة [٣] . والذي أختار أن يعد سعيد بن جبير في علماء الكوفة ، وأن يصنف طاووسًا ضمن علماء اليمن . وهكذا يصنفهما بعض من ألف في الطبقات ، كالشيرازي وغيره . وقال ابن كثير في أول ترجمة طاووس : « ...هو أول طبقة أهل اليمن من التابعين ...» . ونجد في صحيح البخاري [٤] ما يفيد أن نشاط ابن جبير العلمي كان بالكوفة [٥] . وفي علمائها عده ابن سعد وغيره .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٤/ ٢٣٧ رقم ١٥٤١ .

(٢) ينظر : الخلاف في وفاته في تهذيب التهذيب : ٢/ ٢٣٥ . وأرخه الشيرازي في طبقاته ص : ٦٩ ، سنة (١٠٦هـ) .

(٣) ولعله قلد في ذلك حاجي خليفة في كشف الظنون عند حديثه عن «علم التفسير» .

(٤) كتاب التفسير ، باب (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) (ح٤٥٩٠) .

(٥) يقول سعيد بن جبير فيما أخرجه البخاري : «آية اختلف فيها أهل الكوفة ، فرحلت فيها إلى ابن عباس ، فسألته عنها ، فقال : نزلت هذه الآية ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء:٩٣] ، هي آخر ما نزل ، وما نسخها شيء» .

صحيح أن سعيد بن جبير زار مرارا مكة أيام الحج ، وثبتت قراءته على ابن عباس ، وأنه مكث زمانا بمكة بعد موت ابن عباس ، أيام كان هاربا من بطش الحجاج . وصحيح كذلك أن طاووسا أخذ عن ابن عباس ، وأكثر روايته عنه ، وأن ابن عباس كان يجله ، ويأذن له بالدخول مع الخاصة؛ وأنه كان كثير التردد على مكة أيام موسم الحج ، وأنه مات بها في آخر حجة له ، بل إن قيس بن سعد المكي قال : «هو فينا مثل ابن سيرين في أهل البصرة»[1] .

لكن مع كل هذا ، فإن نشاط سعيد بن جبير العلمي والسياسي كان بالكوفة ، ونشاط طاووس كان باليمن . والله أعلم .

(١) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٥٢٤ . أنبه أيضا على أن ابن حزم قد ذكر طاووسا ضمن المفتين بمكة عند حديثه عن فقهاء التابعين الذين روي عنهم الفتيا . الإحكام : ٥/ ٨٧٥ . وتبعه في ذلك ابن القيم في اعلام الموقعين في فصل المفتين بمكة . والخطب في ذلك يسير .

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب السابع

القيمة العلمية لكبار أصحاب ابن عباس

الحق أن أصحاب ابن عباس ـ بمن فيهم الذين كانوا بغير مكة كسعيد بن جبير لم يقتصر عطاؤهم العلمي على مكة وأهلها ، بل كانوا أيضا منارة استضاءت بها حركة التفسير في بلدان إسلامية أخرى . وهكذا ترى إماما من أئمة الكوفة – وهو سفيان الثوري ـ يقول : «خذوا التفسير من أربعة : مجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، والضحاك» [١] . ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أخذوا عن ابن عباس يقينا . والضحاك بن مزاحم الخراساني : من النقاد من يثبت أخذه عن ابن عباس ، ومنهم من ينكر ذلك . لكن نجد بعض الذين ينكرون يقر بأنه لقي سعيد بن جبير بالري ، فأخذ عنه التفسير [٢] .

ولابن عباس وأصحابه في كتب التفسير حضور ظاهر لا تخطئه الملاحظة ، ولو كانت عابرة . فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

إلا أن الدارس لهذه الطبقة يلحظ أن درس التفسير بمكة يكاد يختص به مجاهد . ويلحظ كذلك أن شيخ قراءة المكيين ، والقائم بحفظ سندها ، والحريص على تواترها ، بعد ابن عباس : هو مجاهد أيضا . وقد نقل الذهبي

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٧٨ رقم ٥٤٢ (ترجمة مجاهد) .

(٢) ينظر تهذيب التهذيب : ٢/ ٢٢٦ .

عن الشافعي قوله : «حدثنا إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين [١] ، قال : قرأت على شبل بن عباد [٢] ، وقرأ على ابن كثير [٣] ، وأخبره ابن كثير أنه قرأ على مجاهد ، وقرأ مجاهد على ابن عباس» [٤] .

فمجاهد يعد بحق شيخ القراء والمفسرين ، كما وصفه الذهبي .

أما عكرمة ، فإن كثرة مخالفته لابن عباس ، وتطوافه في البلدان للقاء الأمراء ونيل أعطياتهم وجوائزهم ، وما رمي به من الابتداع [٥] . كل ذلك لم يسمح له أن يتبوأ المكانة التي تبوأها مجاهد [٦] .

(١) هو من شيوخ الشافعي . ينظر توالي التأنيس ، ص : ٦٣ .

(٢) هو شبل بن عباد المكي القارئ ، سيأتي الحديث عنه .

(٣) عبد الله بن كثير ، أحد القراء السبعة ، سيأتي الحديث عنه .

(٤) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٧٧ رقم ٥٤٢ .

(٥) اتهم بأنه كان يرى رأي الخوارج .

(٦) يقال إن مجاهدا أيضا كان كثير الأسفار والتنقل؛ ويقال إنه سكن الكوفة بأخرة . وتفسير هذا ـ إن صح ـ أن يكون ذلك في الأعوام الأخيرة من حياته .

obeikandl.com

المطلب الثامن

مميزات التفسير عند هذه الطبقة

١ ـ من مميزات التفسير في هذه المرحلة : التوسع في الأخذ عن أهل الكتاب . وعرف ذلك عن مجاهد ، مما جعل طائفة من العلماء تتحاشى تفسيره [(١)] .

٢ ـ ومن مميزات التفسير عند هذه الطبقة كذلك : الاهتمام الكبير بالتفسير بالمأثور عن ابن عباس حتى أن أصحابه كانوا يجتمعون فيتذاكرون التفسير المروي عنه ، ويتنافسون في استظهاره [(٢)] . وكانوا يعتمدون على الحفظ إلى جانب التقييد في الكتاب . ولم تتسع ظاهرة تأليف الكتب بعد .

٣ ـ إلا أن هذا لا يعني أن أصحاب ابن عباس كانوا لا يخرجون عن تفسيره : فقد أكثر عكرمة من مخالفة ابن عباس . وعيب هذا الصنيع عليه . بل ذهب مجاهد ـ كما قال الذهبي ـ إلى «أقوال وغرائب في العلم والتفسير تستنكر ...» [(٣)] .

ومن هذه الغرائب والأقوال التي استنكرت عليه : ما رواه الطبري من طريق عبد الله بن أبي نجيح [(٤)] ، عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة:٦٥] ، قال : «مسخت قلوبهم ، ولم يمسخوا قردة . وإنما

---

(١) ينظر طبقات ابن سعد : ٤/ ٢٣٣ (ترجمة مجاهد) .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء : ٥/ ٥٠٨ ، وتهذيب التهذيب : ٣/ ١٣٥ (ترجمة عكرمة) .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٥/ ٣٨١ ، رقم ٥٤٢ .

(٤) سيأتي الحديث عنه .

هو مثل ضربه الله لهم : ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥] ، قال ابن جرير معقبا : وهذا القول الذي قاله مجاهد قول مخالف لظاهر ما دل عليه كتاب الله ... » [(١)] .

كما عقب ابن كثير في تفسيره على تأويل مجاهد هذا بقوله : وهو «قول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره ...» .

ثم ذكر ابن كثير أقوال العلماء ـ ومنهم ابن عباس ـ الذين فسروا هذه الآية على حسب الظاهر منها ، وقال : «والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد ~ : من أن مسخهم إنما كان معنويا لا صوريا . بل الصحيح أنه معنوي صوري . والله تعالى أعلم» [(٢)] .

ومن الغرائب والأقوال التي استنكرت على مجاهد أيضا أنه قال في قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣] : «تنتظر الثواب من ربها ، لا يراه من خلقه شيء» [(٣)] .

قال ابن كثير منتقدا : « ...أبعد هذا القائل النجعة ، وأبطل فيما ذهب إليه . وأين هو من قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] .

قال الشافعي ــ رحمه الله تعالى : «ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه ﷻ » . ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دل

(١) ينظر : جامع البيان لابن جرير : ١/ ٢٦٣ عند تفسير الآية ٦٤ من سورة البقرة .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، عند تفسيره هذه الآية : ١/ ١٥٨ ـ ١٦٠ .

(٣) أخرجه ابن جرير عند تفسيره هذه الآية : ٢٩/ ١٢٠ .

عليه سياق الآية ...» [١] .

وعلى الرغم من هذا الملحظ ، فإن مجاهد بن جبر يبقى إمام فن التفسير بعد ابن عباس بلا منازع . ونظرا لقيمة تفسيره جمع ابن كثير عند ترجمته في أحداث سنة ثلاث ومائة من البداية والنهاية طائفة من آي القرآن التي فسرها مجاهد . كما أن البخاري اعتمد على تفسيره ، في كتاب التفسير من صحيحه . والنقول عنه فيه تُزاحم النقول عن ابن عباس [٢] .

(١) تفسير ابن كثير عند الآيتين ٢٢ و٢٣ من سورة القيامة . وينظر تفسير ابن جرير الطبري عند تفسير الآيتين ، والتفسير والمفسرون : ١/ ١٠٦ .

(٢) ودونه في الرتبة عكرمة . ودونهما عطاء ابن أبي رباح .

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب التاسع
طبقة ثانية

ثم خلف من بعد كبار أصحاب ابن عباس خلف حفظوا لمدرسة التفسير بمكة نشاطها ، وتوهجها العلمي ، وريادتها في علوم القرآن . من أهم هؤلاء : عمرو بن دينار (ت١٢٦هـ) . أخذ بعض التفسير عن ابن عباس [١] . وروى عنه بواسطة عطاء [٢] وعكرمة [٣] .

ومن هؤلاء أيضا عبد الله بن كثير الداري ، أحد القراء السبعة الذين أجمعت الأمة على قراءاتهم . قرأ على مجاهد القرآن كما أسلفنا عند الحديث عن مجاهد؛ و«إليه صارت قراءة مكة ، وبه اقتدى أكثرهم» [٤] .

ومنهم كذلك عبد الله بن أبي نجيح يسار (١٣١هـ) . وصفه الذهبي بـ «الإمام الثقة المفسر» [٥] ، وأغلب تفسير مجاهد يروى عنه [٦] ، لأنه كان أخص به [٧] .

---

(١) من مروياته في التفسير عن ابن عباس : ما رواه البخاري في كتاب التفسير من صحيحه : الحديث رقم ٤٥١٩ والحديث رقم ٤٦٥٢ .

(٢) ينظر : ـ مثلا ـ صحيح البخاري ، كتاب التفسير ح٤٥٩١ .

(٣) ينظر : ـ مثلا ـ صحيح البخاري ، كتاب التفسير ح ٤٧١٦ .

(٤) ينظر : تهذيب التهذيب : ٢/ ٤٠٨ .

(٥) سير أعلام النبلاء : ٦/ ٣٤٧ رقم ٨٦٩ .

(٦) وعن طريقه جاء تفسير مجاهد الذي بين أيدينا اليوم . ينظر «تفسير مجاهد» بتحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتي . المنشورات العلمية . بيروت .

(٧) سير أعلام النبلاء : ٦/ ٣٤٧ .

obeikandl.com

المطلب العاشر
طبقة ثالثة

ثم نجد بعد هؤلاء شبل بن عبد المكي القارئ . روى عنه القراءة عبد الله بن زياد المكي ، وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين [١] .

ونجد كذلك عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت١٥٠هـ) ، شيخ علماء مكة في عصره ، وشيخ شيوخ الإمام الشافعي المكيين .

أهم ما يميز هذه الطبقة :

لقد عرف التفسير في هذه المرحلة تطورا نوعيا تمثل في تأليف أول التفاسير . وذلك على يد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج .

ولعل مما يفخر به أهل مكة أن ابن جريج أول من صنف الكتب . ومنها كتابه في التفسير؛ ذكره صاحب كشف الظنون [٢] ، ونص عليه فؤاد سزكين الذي يقول : «يعتمد ، فيما يبدو ، على كتب تفسير ابن عباس ، وعكرمة ، ومجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ...» ويقول أيضا : «واقتبسه الطبري برواية القاسم بن الحسن الهمذاني (المتوفى سنة ٢٧٢هـ) عن الحسين بن داود المصيصي (المتوفى سنة ٢٢٦هـ) عن حجاج بن محمد المصيصي (المتوفى سنة ٢٠٦هـ)» [٣] .

---

(١) تهذيب التهذيب : ٢/ ١٥٠ ، في ترجمة شبل بن عباد .

(٢) ينظر كشف الظنون لحاجي خليفة : ١/ ٤٣٧ .

(٣) ينظر تاريخ التراث العربي : ١/ ١/ ١٦٧ (في علوم القرآن والحديث) .

obeikandl.com

ومن مروياته عن ابن عباس : «ما أخرجه البخاري بسنده عنه عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس { : ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:٥٩] ، قال : نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي ، إذ بعثه النبي ﷺ في سرية» [(١)] .

وقد يروي عن ابن عباس بواسطة عبد الله بن عبيد الله ابن أبي مليكة [(٢)] . ومرة يروي عنه بواسطة سليمان الأحول [(٣)] عن مجاهد عنه [(٤)] .

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله (أطيعوا الله ...) (ح٤٥٨٤) .

(٢) ينظر ـ مثلا ـ صحيح البخاري ، كتاب التفسير (ح٤٥٢٤ و٤٥٣٨ و٤٦٦٤) .

(٣) سليمان ابن أبي مسلم المكي ، خال ابن أبي نجيح . ينظر تهذيب التهذيب : ٢/ ١٠٧ .

(٤) صحيح البخاري (ح٤٦٣٢) .

openkandl.com

المطلب الحادي عشر

طبقة رابعة

وهي طبقة تلاميذ ابن جريج كمسلم بن خالد الزنجي (ت١٨٠هـ) ، وسعيد بن سالم القداح (توفي قبل المائتين) ، وعبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد (ت٢٠٦هـ) ، وعبد الله بن الحارث المخزومي .

لكن سيد هذه الطبقة بامتياز هو الإمام سفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ) . خصص له الذهبي في سير أعلام النبلاء ترجمة حافلة ، قال في صدرها : « ... الإمام الكبير ، حافظ العصر ، شيخ الإسلام ...» . وهذه التحلية من الإمام الذهبي مفخرة لأهل مكة ، يفتخرون بها عند الحديث عن تاريخ العلوم .

ثم ذكر الذهبي الوسيلة التي نال بها سفيان هذه المرتبة في العلم ، فقال : « طلب الحديث ، وهو حدث ، بل غلام ، ولقي الكبار [١] ، وحمل عنهم علما جما ، وأتقن وجود ، وجمع وصنف ، وعمر دهرا [٢] ، وازدحم الخلق عليه ، وانتهى إليه علو الإسناد ، ورحل إليه من البلاد ، وألحق الأحفاد بالأجداد» [٣] .

---

(١) منهم عمرو بن دينار ، فقد أكثر من السماع عنه .

(٢) جزم الذهبي بأنه عاش إحدى وتسعين سنة .

(٣) سير أعلام النبلاء : ٧/ ٦٥٣ ـ ٦٥٤ ، رقم الترجمة ١٢٩٢ .

obeikandl.com

هذا فيما يتعلق بالعلوم الشرعية عموما؛ أما فيما يخص علوم القرآن : فكان فيها النجم . قال عبد الله بن وهب [١] : «لا أعلم أحدا أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة» [٢] . وقال فيه الإمام الحافظ عبد الرحمن بن مهدي (وهو من الآخذين عنه أيضا) : «عند ابن عيينة من معرفته بالقرآن ، وتفسير الحديث ، ما لم يكن عند سفيان الثوري» [٣] .

وأخبر عن نفسه بأنه قرأ القرآن وهو ابن أربع عشرة سنة [٤] .

وله كتاب في التفسير ، ذكره صاحب كشف الظنون [٥] ، وقال فيه سزكين : «استخدمه ابن حجر في الإصابة ... والثعلبي في «الكشف والبيان» برواية أبي [عبيد الله] سعيد بن عبد الرحمن المخزومي» [٦] .

قلت : ويروي عنه ابن جرير الطبري أيضا في تفسيره بواسطة عمرو بن مالك ، وأبي كريب ... وينقل عنه البخاري في صحيحه في مواضع : منها قوله : «قال ابن عيينة : ما سمى الله مطرا في القرآن إلا عذابا ، وتسميه العرب الغيث ،

---

(١) من أصحاب مالك المصريين (ت١٩٧هـ)؛ أخذ عن ابن عيينة ، وهو من أقرانه . تنظر ترجمته في ترتيب المدارك لعياض : ٣/ ٢٢٨ ـ ٢٤٣ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٧/ ٦٥٥ .

(٣) السابق : ٧/ ٦٦٠ .

(٤) السابق : ٧/ ٦٦٠ .

(٥) ينظر كشف الظنون : ١/ ٤٣٨ .

(٦) تاريخ التراث العربي : ١/ ١/ ١٧٨ (في علوم القرآن والحديث) . وسعيد بن عبد الرحمن المخزومي من تلاميذ سفيان . ينظر : تهذيب التهذيب : ٢/ ٢٩ .

وهو قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ [الشورى:٢٨] »[١] .

قال ابن حجر مفسرا : «قوله : قال ابن عيينة إلخ : كذا في تفسير ابن عيينة ، رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي عنه قال : ويقول ناس : ما سمى الله المطر في القرآن إلا عذابا ، ولكن تسميه العرب الغيث ـ يريد قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ ؛ كذا وقع في تفسير حم عسق .

وقد تعقب كلام ابن عيينة بورود المطر بمعنى الغيث في القرآن في قوله تعالى : ﴿كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ﴾ [النساء:١٠٢] ، فالمراد به هنا الغيث قطعا . ومعنى التأذي به : البلل الحاصل منه للثوب والرجل وغير ذلك»[٢] .

ومنها : قول البخاري أيضا : «وقال ابن عيينة : ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم:٦] ، أيادي الله عندكم وأيامه»[٣] .

قال ابن حجر شارحا قوله : وقال ابن عيينة : ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أيادي الله عندكم وأيامه : وصله الطبري من طريق الحميدي عنه . وكذا رويناه في تفسير ابن عيينة ، رواية سعيد بن عبد الرحمن عنه ...»[٤] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (قبل الحديث رقم ٤٦٤٨) .

(٢) ينظر : فتح الباري/ ٩/ ٢٠٠ عند شرحه للموضع المشار إليه آنفا من صحيح البخاري .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب : تفسير سورة إبراهيم ، قبل الحديث رقم ٤٦٩٨ .

(٤) ينظر : فتح الباري : ٩/ ٢٨٦ (قبل شرحه للحديث رقم ٤٦٩٨) .

ومنها : قول البخاري كذلك : «وقال ابن عيينة : ﴿أَمْثَلُهُمْ﴾ [١] : أعدلهم طريقة» [٢] .

قال ابن حجر معقبا : «قوله : وقال ابن عيينة (أمثلهم طريقة) أعدلهم : كذا هو في تفسير ابن عيينة» [٣] .

ومنها : كذلك قول البخاري : «وقال ابن عيينة : ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [٤] المطمئنين [٥] : قال ابن حجر عند تفسير هذا القول : «قوله : قال ابن عيينة : ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ المطمئنين : هو كذلك في تفسير ابن عيينة ، لكن أسنده عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وكذا هو عند ابن المنذر [٦] ، من هذا الوجه ...» [٧] .

ومنها : قول البخاري : «قال ابن عيينة : ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون:١٧] : سبع سماوات» [٨] قال ابن حجر موضحا : «قوله : قال ابن عيينة : ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ سبع سماوات : هو في تفسير ابن عيينة من رواية سعيد بن عبد الرحمن

---

(١) سورة طه ، من الآية ١٠٢ ، وهي قوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ الآية .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة طه ، قبل الحديث ٤٧٣٦ .

(٣) فتح الباري : ٩/ ٣٦٠ (قبل شرحه للحديث ٤٧٣٦) .

(٤) سورة الحج ، من الآية ٣٢ ، وهي قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ الآية .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الحج ، قبل الحديث ٤٧٤١ .

(٦) هو محمد بن المنذر ، الإمام المشهور صاحب التآليف المفيدة في الخلاف العالي ، منها كتابه : الإشراف على مذاهب أهل العلم ، وكتابه الأوسط .

(٧) فتح الباري : ٩/ ٣٦٧ .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب سورة المومنون ، قبل الحديث ٤٧٤٥ .

المخزومي عنه »[١] .

من خلال هذه النماذج نلاحظ ما يلي :

ـ أن تفسير ابن عيينة من مصادر البخاري في كتاب التفسير من صحيحه .

ـ أن ابن حجر قد اطلع أيضا على هذا التفسير ، برواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي .

ـ أن الراوي الأساس لهذا التفسير هو سعيد بن عبد الرحمن المخزومي .

ـ أن من منهج ابن عيينة في تفسيره : شرح الآية بما فتح الله عليه ، وقد يعتمد على ما رواه عن المفسرين السابقين (ابن أبي نجيح عن مجاهد ـ مثلا) .

ـ أن تفسيره ينصب على توضيح ألفاظ القرآن التي تحتاج إلى توضيح .

(١) فتح الباري : ٩/ ٣٧٦ .

obeikandl.com

obeikandl.com

المطلب الثاني عشر

الإمام الشافعي

تلقى الإمام الشافعي تعليمه الأساسي بمكة المكرمة ، واستطاع في سن مبكرة من عمره القصير (١٥٠هـ ـ ٢٠٤هـ) أن يستخلص زبدة النشاط العلمي المكي الذي آل إلى سفيان بن عيينة وتلاميذ ابن جريج ، ويروي ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن الزبير الحميدي : أن الشافعي قال : «كنت يتيما في حجر أمي ، ولم يكن معها ما تعطي المعلم ، وكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام ، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد ، فكنت أجالس العلماء ، وأحفظ الحديث أو المسألة ، وكان منزلنا بمكة : في شعب الخيف [(١)] ، وكنت أنظر إلى العظم يلوح ، فأكتب فيه الحديث أو المسألة . وكانت لنا جرة قديمة ، فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة» [(٢)] .

ويروي ابن حجر بسنده عن أبي الوليد بن أبي الجارود المكي – تلميذ الشافعي ـ قال : «كنا نتحدث نحن وأصحابنا من أهل مكة أن الشافعي أخذ كتب ابن جريج عن أربعة أنفس : عن مسلم بن خالد (الزنجي) ، وسعيد بن سالم (القداح) – وهذان فقيهان ـ ، وعن عبد المجيد بن عبد العزيز ابن أبي رواد ـ وكان أعلمهم بابن جريج ، وعن عبد الله بن الحارث المخزومي ، وكان

(١) موضع بمنى .

(٢) آداب الشافعي ومناقبه ، ص : ٢٤ .

من الأثبات ...» [١] .

وقال ابن أبي حاتم الرازي أيضا : «حدثنا بحر بن نصر الخولاني المصري [٢] ، قال : قدم الشافعي من الحجاز ، فبقي بمصر أربع سنين ، ووضع هذه الكتب . وكان أقدم معه من الحجاز كتب ابن عيينة ...» [٣] .

أما فيما يخص علم التفسير فإن ابن عيينة كان «إذا جاءه شيء من التفسير والفتيا التفت إلى الشافعي ، فقال : سلوا هذا» [٤] .

وجاء في الرسالة للشافعي : «أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف:٤٤] ، قال : يقال : ممن الرجل؟ فيقال : من العرب ، فيقال : من أي العرب؟ فيقال : من قريش» [٥] .

وجاء في رواية أخرى للشافعي : «أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:٤] ، قال : لا أذكر إلا ذكرت معي : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله» [٦] .

---

(١) توالي التأنيس ، ص : ٧٢ ـ ٧٣ .

(٢) كتب عنه ابن أبي حاتم بمصر ، ووثقه . وهو من الآخذين عن الشافعي . ينظر تهذيب التهذيب : ١/ ٢١٣ .

(٣) آداب الشافعي ومناقبه ، ص : ٧٠ .

(٤) ينظر : طبقات الفقهاء للشيرازي ، ص : ٦٧ ، وتوالي التأنيس ، ص : ٧٦ .

(٥) الرسالة للشافعي ، ص : ١٣ ، ف ٣٣ .

(٦) الرسالة ، ص : ١٦ ، ف ٣٧ . وأكثر ما ينقله الشافعي من التفسير ، ينقله عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد . ينظر تفسير مجاهد (مقدمة المحقق : ١/ ٦٠) .

ويبعد من جهة النظر ألّا يأخذ عنه تفسيره ، وهو الذي إذا جلس إلى شيخ لا يبرحه حتى يستنفد ما عنده .

إلا أنه يحق لنا أن ننبه على أن الشافعي لم يبرز في علوم القرآن تبريزه في الفقه وأصوله ، ولم يهتم بنقل التفسير اهتمامه بنقل الحديث . نعم ، نقل في كتابه «الأم» الآيات المتعلقة بالأحكام ، وتكلم عنها ، وحللها بما يقتضيه المقام : فهو يبدأ أول الباب بذكر ما فيه من القرآن ـ إن وجد ـ ويتكلم عن الناسخ والمنسوخ إذا دعت الضرورة إلى ذلك ... ونجده في أول كتاب «الرسالة» الأصولي يعقد بابا يتعلق ببيان القرآن ، فصل فيه أوجه البيان في القرآن ، ثم تكلم عن بيان ما نزل من القرآن عاما ، يراد به العام ، ويدخله التخصيص؛ وعما نزل عام الظاهر ، وهو يجمع العام والخاص؛ وعما نزل من القرآن عام الظاهر يراد به كله الخاص ... مما يدل على أن الشافعي جنح في التعامل مع معاني القرآن إلى منهج استقرائي لاستخلاص أصول تشريعية عامة ، تعين الفقيه على الاستنباط السليم للنصوص الشرعية .

وهذا منعطف بارز في التفسير ، يحق لأهل مكة أن يفتخروا به ، لأن المخطط لهذا المنعطف : من أنفسهم . فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

openkanoi.com